صناعة المفتي الرشيد في أوروبا: مواجهة فوضى الفتوى والتأثيرات الأيديولوجية في عصر الذكاء الاصطناعي

(رؤية تأصيلية لتأسيس مؤسسات إفتائية وسطية تواكب تحديات الجالية المسلمة وتُحصّن الشباب من التطرف الرقمي)

بحث مقدم من

أ : مهاجري زيان

رئيس الهيئة الأوروبية للمراكز الإسلامية

جنيف – سويسرا

للمشاركة في المؤتمر الدولي العاشر للأمانة العامة لدور وهيئات الإفتاء في العالم

صناعة المفتي الرشيد في عصر الذكاء الاصطناعي

12 – 13 أغسطس

جمهورية مصر العربية

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وبعد..

بداية أتقدم بأسمى آيات الشكر والعرفان إلى دار الإفتاء المصرية، الجهة المنظمة لهذا المؤتمر الدولي المرموق على جهودها المتواصلة في خدمة قضايا الفتوى والتجديد والإصلاح الديني، وعلى حُسن الاستضافة ورفعة التنظيم.

وأخص بالشكر والتقدير سماحة الأستاذ الدكتور نظير عياد مفتي جمهورية مصر العربية، رئيس الأمانة العامة لدور وهيئات الإفتاء في العالم على قيادته الرشيدة، وحرصه على ترسيخ منهجية الاعتدال والتكامل في الفتوى المعاصرة، وجعل هذا المؤتمر منبرًا عالميًا للحوار الفقهي الراشد.

كما أعبّر عن بالغ امتناني لجمهورية مصر العربية دولة ومؤسسات، وشعبًا كريمًا مضيافًا، ولفخامة الرئيس عبد الفتاح السيسي رئيس الجمهورية على رعايته الكريمة لهذا المحفل العلمي الكبير التي تعكس دعم الدولة المصرية لقضايا الفكر والدين، وخدمة العالم الإسلامي من قلب القاهرة عاصمة الأزهر والعلم.

وتحية عطرة يملؤها التقدير والإجلال أرفعها إلى أصحاب السماحة والفضيلة من العلماء والمفتين وأهل الرأي والمقاصد، وإلى جميع المشاركين في هذا المؤتمر المبارك كلٌّ باسمه، وجميل وصفه، سائلًا الله تعالى أن يُبارك في علمهم، وأن يُسدّد خُطاهم، وأن يجعل اجتماعنا هذا خطوة في سبيل حماية الدين، وخدمة المسلمين، وتحقيق السلم المجتمعي في عالم تتداخل فيه التحديات وتتسارع فيه المتغيرات.

ففي ظلّ التحوّلات العميقة التي يشهدها العالم المعاصر، وفي عصر تتقاطع فيه الثورات الرقمية مع التحديات الفكرية والدينية تبرز الحاجة المُلحّة لإعادة النظر في أدوات الفتوى، ومؤسساتها، والقائمين عليها خاصة في السياقات الغربية التي تعيش فيها الجاليات المسلمة تحت ضغوط متعدّدة ثقافيًا، وقانونيًا، وفكريًا.

ويأتي هذا البحث في سياق مشاركتي في أعمال المؤتمر الدولي العاشر للأمانة العامة لدور وهيئات الإفتاء في العالم المنعقد في القاهرة خلال الفترة من 12 إلى 13 أغسطس 2025م بتنظيم كريم من دار الإفتاء المصرية، وبرعاية رسمية من فخامة رئيس جمهورية مصر العربية - حفظه الله - تحت عنوان:

"صناعة المفتي الرشيد في عصر الذكاء الاصطناعي"

وهي لحظة علمية فارقة تناقش فيها قضايا الإفتاء وتحدياته في ظل تطورات الذكاء الاصطناعي، وتسارع الوسائط الرقمية، وانفتاح العالم على منظومات فكرية ومعرفية جديدة.

وفي هذا الإطار يأتي بحثي بعنوان:

"صناعة المفتي الرشيد في أوروبا: مواجهة فوضى الفتوى والتأثيرات الأيديولوجية في عصر الذكاء الاصطناعي"

(رؤية تأصيلية لتأسيس مؤسسات إفتائية وسطية تواكب تحديات الجالية المسلمة وتُحصّن الشباب من التطرّف الرقمي)

ويهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على واقع الإفتاء في أوروبا، وما يعانيه من تعدد غير منضبط للمرجعيات، وتوغل للفتوى المستوردة، وتأثيرات الجماعات المؤدلجة التي توظف الفتوى لتغذية الصدام مع الأنظمة أو الترويج لأجندات خارجية وصولًا إلى استغلال الذكاء الاصطناعي وتقنيات التواصل الرقمي في نشر الفتاوى المغلوطة أو توجيه الشباب نحو مسارات خطيرة.

كما يقدّم البحث تصورًا متكاملاً لـ "صناعة المفتي الأوروبي الرشيد" المنفتح على الواقع المستند إلى المرجعية العلمية الوسطية، والمؤهّل لفهم التقنية وتسخيرها لخدمة الفتوى الشرعية مع الدعوة إلى إنشاء مؤسسات إفتائية أوروبية مستقلة وموحّدة، تكون قادرة على توجيه الجاليات المسلمة نحو الاعتدال والاندماج، وتحقيق الأمن الديني والفكري في مجتمعاتها.

أهمية البحث:

- مواجهة التحديات المعاصرة: يعالج البحث التحوّلات الرقمية والفكرية والدينية التي تواجه الجاليات المسلمة في السياقات الغربية، خاصة في أوروبا.
- إعادة النظر في الإفتاء: يبرز الحاجة لتطوير أدوات الفتوى ومؤسساتها والقائمين عليها لتتماشى مع الضغوط الثقافية والقانونية والفكرية.
- سياق المؤتمر الدولي: يشارك البحث في المؤتمر العاشر للأمانة العامة لدور وهيئات الإفتاء (القاهرة، 12-13 أغسطس 2025)، تحت عنوان "صناعة المفتي الرشيد في عصر الذكاء الاصطناعي".
- معالجة فوضى الفتوى: يسلط الضوء على تعدد المرجعيات غير المنضبط، الفتاوى المستوردة، وتأثيرات الجماعات المؤدلجة في أوروبا.
- مواجهة التطرف الرقمي: الذي يركز على استغلال الذكاء الاصطناعي والتواصل الرقمي في نشر فتاوى مغلوطة أو توجيه الشباب نحو مسارات خطيرة.
- صناعة المفتي الرشيد: يقترح نموذجًا لمفتٍ أوروبي وسطي منفتح على الواقع، مستند إلى مرجعية علمية، وقادر على تسخير التقنية للفتوى.
- تأسيس مؤسسات إفتائية: يدعو إلى إنشاء مؤسسات إفتائية أوروبية مستقلة وموحدة لتوجيه الجاليات المسلمة نحو الاعتدال والاندماج.
- تعزيز الأمن الديني والفكري: يهدف إلى تحصين الشباب من التطرف الرقمي وتعزيز الاستقرار الديني والاجتماعي للمسلمين في أوروبا.

أهداف البحث:

1- تحليل واقع الفتوى في أوروبا وتشخيص مظاهر الفوضى الحالية.

2- التحذير من الجهات التي توظف الإفتاء لخدمة أجندات سياسية أو متطرفة.

3- الكشف عن طرق استغلال التكنولوجيا والذكاء الاصطناعي في التأثير على الوعي الديني.

4- تقديم رؤية لتكوين مفتٍ رشيد منفتح ومتمكن علميًا وتقنيًا.

5- اقتراح نموذج مؤسسي أوروبي للفتوى الوسطية.

إشكالية البحث:

تواجه الجاليات المسلمة في أوروبا إشكاليات مركبة في مجال الفتوى، لعل أبرزها:

- فوضى المرجعيات، وتضارب الفتاوى المستوردة من خارج السياق الأوروبي.
- استغلال بعض الجماعات المؤدلجة لمواقع الإفتاء لتوجيه الشباب نحو أجندات سياسية أو جهادية.
- استغلال أدوات الذكاء الاصطناعي والتقنية الحديثة في تضليل أو تجنيد فئات من الشباب.

ومن هنا ينطلق هذا البحث للإجابة عن الأسئلة الآتية:

1- كيف يمكن صناعة مفتٍ رشيد أوروبي يمتلك أدوات الفقه والواقع واللغة الرقمية؟

2- ما هي ملامح المؤسسات الإفتائية الوسطية القادرة على خدمة الجاليات المسلمة بعيدًا عن التأثيرات الأيديولوجية؟

3- ما السبل لحماية الجيل المسلم في أوروبا من الفتاوى المتطرفة والتجنيد الرقمي؟

المنهج المستخدم:

- المنهج التحليلي النقدي: من خلال تحليل الممارسات الإفتائية القائمة ونقد مظاهر الانحراف.
- المنهج المقارن: عبر مقارنة نماذج الفتوى الوسطية بنماذج الفتوى المؤدلجة.
- المنهج الاستشرافي: لصياغة آفاق مستقبلية للمفتي الرشيد والمؤسسات الفاعلة.

وقد تشكل البحث من المحاور الآتية:

المحور الأول: واقع الإفتاء في أوروبا – فوضى المؤسسات والمضامين.

المحور الثاني: أثر هذه الفوضى في تشكيل وعي الشباب.

المحور الثالث: الجماعات الإرهابية والذكاء الاصطناعي.

المحور الرابع: صناعة المفتي الرشيد الأوروبي.

المحور الخامس: نحو تأسيس مؤسسات إفتائية وسطية في أوروبا.

المحور الأول

واقع الإفتاء في أوروبا – فوضى المؤسسات والمضامين

1. إشكالية تعدد المرجعيات وتضارب الفتاوى:

من أبرز التحديات التي تواجه الفتوى في السياق الأوروبي تعدد المرجعيات الإفتائية وغياب التنسيق المؤسسي بين الجهات الدينية المختلفة، فقد أظهرت دراسات ميدانية عديدة منها دراسة المركز الأوروبي للبحوث الاجتماعية (2020) أن ما يقرب من 60% من المسلمين المقيمين في أوروبا يتلقون الفتاوى عبر وسائل التواصل الاجتماعي أو من شخصيات دينية غير معتمدة، أو عبر مواقع إلكترونية تصدر الفتوى دون تحقيق علمي أو تدقيق شرعي.

وتعتمد بعض هذه المرجعيات على فتاوى مستوردة من بلدان المشرق العربي أو شبه القارة الهندية، دون مراعاة للخصوصية القانونية والثقافية للمسلمين في الغرب، وهو ما يؤدي إلى اصطدام مباشر بين التوجيه الديني والمحيط الاجتماعي والقانوني الذي يعيش فيه المسلمون.

2. الفتوى المستوردة: الغربة عن الواقع الأوروبي:

يُقصد بالفتوى المستوردة تلك الفتاوى التي تُصاغ في بيئات غير أوروبية، ثم تنقل كما هي إلى الجاليات المسلمة في الغرب دون تعديل أو مواءمة تراعي السياق الاجتماعي والإطار الثقافي، وتُعد هذه الظاهرة من أخطر ما يهدد التعايش في أوروبا، إذ تؤدي إلى عزلة المسلم عن واقعه، وتدفع بعض الشباب إلى اتخاذ مواقف رافضة للمجتمع، بل ومناهضة له في بعض الأحيان.

على سبيل المثال: انتشرت خلال العقود الأخيرة فتاوى تُحرّم المشاركة السياسية، أو تُشكك في العمل ضمن مؤسسات الدولة، أو تُجرّم الانخراط في مجتمعات مدنية "كافرة"!، وهو ما يُعد ضربًا من التراجع الفقهي غير المنضبط.

3. صعود الحركات المؤدلجة: المداخلة والسلفية الجهادية والإخوان:

من المؤسف أن العديد من الجهات التي تدّعي الفتوى اليوم في أوروبا مرتبطة بحركات ذات توجهات سياسية أو عقدية متشددة، منها: تيار "المداخلة" الذي يتميز بخطاب إقصائي شديد يُكفّر الخصوم مما يجعله يزرع الفتنة داخل المساجد ويقوّض أي مشروع إفتائي مؤسسي جامع.

وفي المقابل، هناك جماعات ذات توجه ثوري أو جهادي، مثل: بعض فصائل "ألسلفية الجهادية"، أو المتأثرين بأدبيات "الإخوان المسلمين"، والتي توظف الفتوى كأداة للتحريض السياسي فتُصدر فتاوى تُجيز الخروج على الحاكم أو تحثّ على الثورة والعصيان، أو تروّج لمفاهيم الولاء والبراء بطريقة متشددة تنزع عن الآخر حقه في المواطنة والكرامة.

4. ضعف التكوين العلمي وعدم الوعي بالمقاصد الشرعية:

يعاني كثير من المتصدّرين للإفتاء في أوروبا من نقص واضح في التكوين العلمي المتكامل، خصوصًا في مجالي فقه الواقع والمقاصد الشرعية؛ فالبعض يكتفي بنقل الأحكام المجردة دون إدراك لآثارها القانونية والاجتماعية، أو دون اعتبار لفقه المآلات والنتائج مما يخلّ بالتوازن المطلوب بين النص والواقع.

وفي سياق متصل تُشير دراسة للمجلس الفرنسي للديانة الإسلامية (2022) إلى أن أكثر من 40% من خطباء الجمعة لا يمتلكون تكوينًا أكاديميًا منتظمًا في العلوم الشرعية، ولا يتلقون تحديثًا معرفيًا دوريًا، مما يزيد من هشاشة الطرح الديني في الفضاء العام الأوروبي.

5. غياب المرجعية المؤسسية الجامعة:

تفتقر الساحة الأوروبية إلى مؤسسة إفتائية جامعة ذات مرجعية علمية موثوقة تضع ضوابط للإفتاء، وتدير الخلاف الفقهي بطريقة رشيدة، وما زالت جهود توحيد الخطاب الإفتائي في بداياتها رغم وجود نماذج مشجعة مثل:

- الهيئة الأوروبية للمراكز الإسلامية التي تبذل جهودًا ملموسة في توحيد المرجعية الوسطية.
- المجلس الأعلى للأئمة في ألمانيا الذي يسعى لتأهيل المفتين محليًا.
- دار الفتوى الفرنسية وإن كانت محدودة التأثير خارج الجالية المغاربية.
- مجلس الإفتاء التابع لمسجد باريس الكبير.

ومع تعدد الجاليات والانتماءات العرقية يزداد تشتت المرجعية ويصبح المجال مفتوحًا أمام كل من شاء أن "يفتي" بغير علم أو مؤهل أو مرجعية.

المحور الثاني

أثر هذه الفوضى في تشكيل وعي الشباب

1- الشباب المسلم بين الفراغ التأصيلي و التلقي العشوائي:

إن من أخطر نتائج فوضى الفتوى في أوروبا ما يُصيب وعي الشباب المسلم من تشويش واضطراب، خصوصًا في ظل غياب مرجعية إفتائية تربط بين الوحي والعقل وبين الشريعة والواقع؛ فالشباب في مرحلة التكوين الفكري والديني يحتاج إلى إجابات واضحة، وتوجيهات مطمئنة، تُشعره بالانتماء لا بالاغتراب، وتغذّيه بالثقة لا بالشك والصدام.

وقد أظهرت دراسة أعدّها معهد "غالوب أوروبا" سنة 2021 أن 47% من الشباب المسلمين في فرنسا، و43% في بلجيكا، لا يثقون في المصادر الدينية التي يتابعونها عبر الإنترنت، لكنهم مع ذلك يظلون عرضة لتأثيرها لأنها الأقرب إلى لغتهم، واهتماماتهم، ولأن المؤسسات التقليدية غالبًا ما تغيب عن المشهد الرقمي.

2- الفتاوى المحرّضة ضد الأوطان ومفاهيم "الثورة المقدسة":

من أخطر أشكال التأثير السلبي للفتوى غير الرشيدة، هو استخدامها كأداة للتحريض على الأنظمة والمؤسسات من خلال خطابات دينية ملغومة تتبنى نظرية "الحاكمية"، أو تحمّل الأنظمة مسؤولية ما يُصيب الأمة من هزائم، وتُجيز "الثورة" عليها باعتبارها جهادًا مشروعًا بل فرضًا واجبًا.

وخلال ما سُمّي بـ"الربيع العربي" شهدت أوروبا تسريب كمّ هائل من هذه الفتاوى من قِبل شخصيات ومنصات محسوبة على جماعات الإسلام السياسي بعضها يتبنّى خطابات "سيد قطب"، وبعضها الآخر يروّج لأدبيات "التمكين" و "الانقلاب على الطواغيت" مما أدى إلى تغذية خطاب الغضب والكراهية داخل أوساط الشباب، بل وتشجيع بعضهم على المشاركة في القتال المسلّح أو دعم التنظيمات المتطرفة فكريًا وماليًا.

مثال على ذلك: "فتوى دعم الثوار في سوريا واليمن وليبيا" التي صدرت عن شخصيات تقيم في أوروبا، وتم تداولها على نطاق واسع بين الجالية المسلمة، وأثّرت بشكل مباشر في انضمام عدد معتبر من الشباب إلى جبهات القتال خارج أوروبا، دون وعي بحجم الخطر أو بمرجعية الفتوى.

3- انعكاسات العزلة الثقافية والدينية على السلوك الفردي والجماعي:

حين يتلقّى الشاب المسلم خطابًا دينيًا يصوّر المجتمع الأوروبي على أنه "دار كفر"، ويُحذّره من التفاعل مع غير المسلمين، أو الانخراط في مؤسسات الدولة، أو المشاركة في الشأن العام، فإن ذلك يُنتج حالة من الانعزال القيمي والثقافي تتطور عند بعض الأفراد إلى نزعة عدوانية تجاه محيطهم.

هذا الانفصال عن المجتمع يُغذّى بخطاب سلفي متشدد أحيانًا أو خطاب ثوري راديكالي أحيانًا أخرى، وكلاهما يتفق على فكرة "نقاء العقيدة" مقابل "سقوط المجتمع"، وهي الثنائية التي كثيرًا ما تؤدي إلى التكفير الصامت، أو على الأقل رفض التعايش؛ مما يُقلل من فرص اندماج الشباب المسلم في مجتمعه، ويجعلهم أكثر عرضة للتجنيد من قبل الجماعات المتطرفة.

4- الإفتاء السلبي كأداة لبناء هوية مضطربة:

عوضًا عن أن تكون الفتوى وسيلة لفهم الواقع والانخراط فيه بوعي شرعي، أصبحت – لدى البعض – أداة لبناء هوية مشوّشة تقوم على الصراع لا الإصلاح، وعلى الانغلاق لا الانفتاح، وتُنتج هذه الهوية خطابًا دينيًا مضادًا لروح المواطنة، ورافضًا لمفاهيم الحداثة وحقوق الإنسان، بل ومعاديًا لمفاهيم التعددية والحرية والتسامح.

ويكفي أن نطالع مضامين بعض المنصات الدعوية المنتشرة في أوروبا – خصوصًا تلك المدعومة من خارجها – لندرك حجم الخلل، حيث تُقدّم للناشئة فتاوى ترفض تهنئة غير المسلمين، أو تُحرّم العمل في المؤسسات الأوروبية، أو تُحرّم زواج الرجل من نساء يعتنقن ديانات أخرى، أو تحصر الفهم الديني في مذهب واحد فتزرع الانغلاق وتُغذّي النزعة الإقصائية.

5- بين التأصيل الغائب والبديل المتطرف:

في ظل غياب مشروع تأصيلي وسطي مقنع يجد الشباب أنفسهم في فراغ يجعلهم يبحثون عن أجوبة سريعة، وإن كانت سطحية أو متطرفة. ومن هنا تبرز ضرورة أن تتحمل المؤسسات الإسلامية في أوروبا مسؤوليتها في تقديم خطاب ديني أصيل يستند إلى مقاصد الشريعة، ويُراعي واقع الشباب، ويستثمر لغتهم الرقمية الحديثة.

كما يشير الباحث هاني نسيرة في دراسته "الإسلام السياسي في أوروبا" (2021) إلى أن: "الخلل الأكبر في خطاب الفتوى اليوم ليس في الشبهات التي يُجيب عنها، بل في المفاهيم التي يُرسّخها ضمنًا، إذ يستبطن الكثير منها تصورات صراعية لا تنتمي إلى الفقه، بل إلى الثقافة السياسية لجماعات الضغط الديني".

المحور الثالث

الجماعات الإرهابية والذكاء الاصطناعي

1- الذكاء الاصطناعي: أداة مزدوجة بين الهداية والضلال:

لم يعد الذكاء الاصطناعي (AI) مجرد أداة تكنولوجية محايدة، بل تحوّل إلى بيئة ثقافية متكاملة تؤثر في تشكيل وعي الأفراد، وصناعة التصورات، والتوجيه السلوكي، وخاصة عند الأجيال الشابة؛ وفي السياق الإسلامي الأوروبي بات من الضروري الاعتراف بأن الجماعات المتطرفة أدركت مبكرًا قيمة الذكاء الاصطناعي، واستثمرته في التجنيد، والتحريض، وإعادة إنتاج الفتوى المغرضة بصيغ رقمية شديدة التأثير.

ففي تقرير أصدره "اليوروبول" سنة 2022 تم الكشف عن استخدام جماعات إرهابية (مثل داعش والقاعدة) تقنيات متقدمة لتوليد المحتوى الآلي، وتحليل السلوك الرقمي للمستخدمين، وتوجيه الفتاوى والرسائل إلى فئات بعينها، بناءً على ميولهم وتاريخ استخدامهم لها.

"لقد استخدم الإرهاب الذكاء الاصطناعي ليس فقط لأغراض عسكرية أو تجنيدية، بل لتصميم خطاب ديني شبه فقهي، يُقنع الشاب بأنه يعيش رسالة ربانية، ويمنحه الإذن الشرعي للقتل أو التمرّد".

(تقرير يوروبول 2022).

2- كيف توظف الجماعات المتطرفة الذكاء الاصطناعي؟

تُوظّف الجماعات الإرهابية الذكاء الاصطناعي في ثلاثة اتجاهات رئيسية:

أ. تحليل البيانات السلوكية:

باستخدام أدوات تتبع الثورة الرقمية تقوم المنصات التابعة للجماعات المتطرفة بقراءة اهتمامات المستخدم، وتحديد الفئات الأكثر قابلية للتأثر، على سبيل المثال: يُستهدف الشاب المسلم الذي يُظهر تفاعلًا مع محتويات

دينية مشحونة، أو يُعبّر عن مشاعر الاغتراب أو الغضب برسائل موجهة بعناية، تُقدّم له فتاوى مغلّفة بخطاب النصوص، وتُظهر العنف كحل مثالي.

ب. توليد المحتوى الفقهي المزيّف:

ظهرت خلال السنوات الأخيرة تطبيقات وأدوات مفتوحة تُستخدم في إنتاج نصوص شبيهة بفتاوى العلماء الكبار، يتم فيها تركيب نصوص قديمة على أسئلة جديدة دون سياق أو تدقيق، وتنتج عنها "فتاوى اصطناعية" ذات شكل شرعي ومحتوى متطرف، تُغذّي خطاب الكراهية، وتشرعن العنف.

ج. استخدام روبوتات الدردشة والدعوة الرقمية:

تم توثيق حالات استخدمت فيها الجماعات المتطرفة روبوتات دردشة آلية (chatbots) ناطقة بعدة لغات تقوم بالإجابة عن أسئلة عقائدية وفق فهم متشدد، وتبني علاقة "نصح" مع المستخدم تُفضي إلى استدراجه في دوائر مغلقة تنتهي بتجنيده أو دفعه للانسحاب من مجتمعه.

3. نماذج واقعية لتأثير التقنية في تجنيد الشباب المسلم:

• في دراسة نشرتها صحيفة "Le Monde" سنة 2019 تم تحليل شهادات عشرات الشبان الفرنسيين الذين التحقوا بتنظيمات متطرفة في سوريا والعراق، واتضح أن 90% منهم تلقّوا أولى رسائلهم الدعوية عبر وسائل رقمية أغلبها مموّل من منصات خارج أوروبا.

• في بلجيكا، كُشف عن شبكة افتراضية مرتبطة بجماعة "Sharia4Belgium" استخدمت حسابات وهمية لترويج فتاوى تُجيز القتال في الداخل والخارج، وكانت مدعومة بخطاب فقهي مُصمَّم رقمياً يربط بين "الولاء للدين" و "المواجهة مع الدولة".

4. إشكالية غياب الرقابة الشرعية الرقمية:

ما يجعل هذه الحملات فعالة هو غياب جهة مؤسسية شرعية رقمية تملأ الفراغ، وتقدّم خطابًا دينيًا تفاعليًا وجذابًا في نفس المساحات الرقمية، فمعظم المؤسسات الإسلامية في أوروبا ما تزال تعتمد على الوسائل التقليدية (المنبر، المحاضرة، الموقع الثابت)، بينما تغزو المنصات المتطرفة الفضاء الرقمي بكل احترافية، وبتمويل ضخم، وأحيانًا بمظهر "شرعي" يجعل الشاب غير المختص عاجزًا عن التمييز بين المصدر الموثوق والباطل المقنّع.

وهنا تكمن خطورة الذكاء الاصطناعي: فهو لا ينقل فقط المعلومة بل يُشكّل الانطباع ويوجه إلى اتخاذ القرار.

5. نحو تأصيل شرعي للتقنية: من الفتوى المُضلّلة إلى الفتوى الراشدة:

لا يمكن مواجهة هذا الواقع إلا بإعادة التفكير في وظيفة الإفتاء ووسائله في العصر الرقمي؛ فالذكاء الاصطناعي يجب ألا يُترك كساحة مفتوحة للمجهولين أو المؤدلجين، بل ينبغي أن يُسخَّر في خدمة الفتوى الراشدة، وفق المعايير التالية:

- بناء قواعد بيانات فقهية موثوقة تُدرّب عليها النماذج اللغوية الذكية (AI Models).
- تطوير روبوتات إفتاء تفاعلية تحت إشراف هيئات إفتائية معروفة.
- مراقبة وتوثيق الفتاوى المغلوطة المنتشرة رقمياً، والرد عليها بلغة العصر وبأسلوب الحجة والمقاصد.

المحور الرابع

صناعة المفتي الرشيد الأوروبي

1- ضرورة الانتقال من "الإمام الواعظ" إلى "المفتي الراشد":

في كثير من السياقات الأوروبية ما تزال صورة الإمام أو الخطيب هي السائدة في المجتمعات الإسلامية المحلية بينما وظيفة المفتي لا تحظى بموقعها المركزي رغم خطورتها وشمولها، والمفتي الرشيد في السياق الأوروبي لا يُقاس فقط بقدرته على استحضار النصوص، بل بقدرته على ترجمتها إلى واقع معقّد متعدد القيم، وقابل للاشتباك مع تحديات قانونية وأخلاقية واجتماعية عميقة.

وهنا يظهر الفرق الجوهري بين "الإمام الواعظ"، الذي يكرّر مفاهيم محفوظة لا تتجاوز جدران المسجد، و "المفتي الراشد" الذي يصوغ الفتوى بمسؤولية، ويُدير الخلاف، ويُوازن بين الأحكام والمصالح، ويخاطب الإنسان الأوروبي المسلم كمواطن ومتدين في آنٍ واحد.

كما يعبّر الشيخ محمد عبد الله دراز في كتابه الدين: "ليس الدين مجرد عاطفة بل عقل هادئ يدرك المآل، ويسوس النفس والناس معًا".

2- السمات العلمية والعملية للمفتي الأوروبي الرشيد:

لكي يكون المفتي في أوروبا راشدًا، عليه أن يتصف بمجموعة من السمات المركّبة يمكن تصنيفها إلى ثلاثة أبعاد:

أ. البعد المعرفي الفقهي:

- امتلاك أدوات الاجتهاد الجزئي: أصول الفقه، قواعد المقاصد، مناهج التخريج.
- إتقان علوم القرآن والسنة مع ملكة في التعامل مع النصوص المتشابهة أو الموهمة للتعارض.
- فقه الواقع الأوروبي: قوانينه، قيمه، تحدياته الاجتماعية، قضاياه الحقوقية.

ب. البعد التواصلي واللغوي:

- إجادة لغة البلد الأوروبي بشكل فعّال، يمكنه من فهم الأسئلة كما تُطرح، لا كما يتخيّلها.
- القدرة على الخطاب المزدوج: خطاب للعامة بلغة مبسطة، وخطاب للنخب بمصطلحات دقيقة.
- الإلمام بأساليب التأثير الرقمي، والتفاعل مع الإعلام بوعي ومسؤولية.

ج. البعد التكنولوجي المعاصر:

- الوعي باستخدامات الذكاء الاصطناعي، وعدم العزلة عن الأدوات المعرفية الجديدة.
- المساهمة في إنتاج المحتوى الرقمي الفقهي الوسطي.
- فهم البرمجيات التي تُستخدم في صناعة الفتوى المزيفة أو التلاعب بالمصادر، والقدرة على نقدها علميًا.

3- أهمية التكوين على منهج الأزهر الشريف:

يُعدّ الأزهر الشريف نموذجًا مرجعيًا عالميًا لصناعة المفتي الراشد لما يتميّز به من:

- توازن بين النقل والعقل: إذ يُدرّب طلابه على التعامل مع النصوص بوعي تأصيلي ومقاصدي، دون حرفية جامدة ولا تجاوز عدمي.
- الانفتاح المذهبي: حيث لا يقتصر تكوينه على مذهب معين، بل يُدرّب الطالب على معرفة المذاهب الأربعة والمقارنة بينها.
- الاعتدال العقدي: إذ يرفض الغلو السلفي والتسيّب الليبرالي معًا، ويُقدّم تصورًا وسطيًا جامعًا.
- الوعي الحضاري: إذ يُتيح لطالب العلم الأزهري تكوينًا من خلال مناهج ومقررات تجمع بين الفقه واللغة، والمنطق، والفلسفة، والتاريخ، والدراسات الحديثة مما يصنع شخصية متوازنة.

ومن هنا، فإن تكوين المفتي في أوروبا ينبغي أن يستلهم هذا النموذج عبر الشراكة مع الأزهر، أو اعتماد منهجياته في معاهد تكوين الأئمة والمفتين في أوروبا.

وقد قامت دار الإفتاء المصرية بخطوات مهمة في هذا السياق عبر "برنامج تدريب المفتين الدوليين" الذي شارك فيه عشرات الأئمة من أوروبا، وتمّ فيه الدمج بين الفقه التقليدي والمعارف الرقمية.

4- الحاجة إلى تكوين مزدوج: شرعي – رقمي:

لا يكفي اليوم للمفتي أن يكون مجتهدًا في "النص" بل لا بد أن يكون واعيًا بمقاصد النص، وطرق تلقيه، ووسائل تأثيره، لذلك يُقترح أن تتبنى مؤسسات التكوين في أوروبا نموذجًا مزدوجًا يشتمل على:

- شطر شرعي تقليدي: يضمن التكوين في العلوم الأساسية (فقه، أصول، لغة، مقاصد).
- شطر معاصر تقني: يشمل الإعلام الرقمي، علم النفس الديني، الذكاء الاصطناعي، التواصل بين الثقافات.

وهذا ما يُؤهّل المفتي لأن يتحرك في المجال العام، لا فقط داخل المحراب، وأن يُجيب عن الأسئلة الكبرى، وليس فقط عن المسائل التراثية النمطية.

5- نماذج واعدة ومبادرات قائمة:

بدأت بعض المؤسسات الإسلامية في أوروبا تدرك أهمية تكوين المفتي الرشيد، ومن أبرز المبادرات:

- الهيئة الأوروبية للمراكز الإسلامية: التي أطلقت مبادرات لتكوين أئمة ومفتين وفق المنهج الوسطي بالشراكة مع مؤسسات مرجعية (المنظمة العالمية لخريجي الأزهر).
- المعهد الإمام الغزالي التابع لمسجد باريس الكبير (فرنسا): الذي يحاول تقديم تكوين ديني باللغة الفرنسية يُراعي الخصوصية الأوروبية.
- مجلس الأئمة السويدي: الذي أطلق برامج تدريبية في مجالات الذكاء الاصطناعي والإفتاء.
- أكاديمية الفتوى بألمانيا: المرتبطة بالمجلس الأعلى للأئمة، وتقدّم مساقات في فقه الأقليات والفتوى الرقمية.

ورغم أن هذه المبادرات ما تزال محدودة، إلا أنها تشكّل أرضية يمكن البناء عليها لتوسيع مشروع صناعة المفتي الرشيد في أوروبا.

المحور الخامس

نحو تأسيس مؤسسات إفتائية وسطية في أوروبا

1- الحاجة إلى المرجعية المؤسسية: بين الواقع والتطلّع:

مع اتساع رقعة الجاليات المسلمة في أوروبا وتعدد جنسياتها وتوجهاتها الفكرية أصبح من غير المقبول استمرار حالة التشتت والارتجال في المجال الإفتائي؛ إن غياب المرجعية المؤسسية ذات الطابع الجامع والرؤية الوسطية أدى إلى فراغٍ خطيرٍ ملأته جماعات ذات أجندات أيديولوجية أو مصالح سياسية أو رؤى متشددة تُصدر فتاوى خارجة عن روح الشريعة ومقاصدها.

ولذلك، فإن إنشاء مؤسسات إفتائية وسطية أوروبية مستقلة بات ضرورة شرعية وفكرية وأمنية تلبّي حاجات الجاليات، وتردّ على شبهات التطرف، وتقدّم خطابًا دينيًا أصيلًا بلغة العصر.

2- خصائص المؤسسة الإفتائية المنشودة:

لكي تكون المؤسسة الإفتائية الأوروبية ذات تأثير فعّال لا بد أن تتميز بالخصائص الآتية:

أ. الاستقلالية والتموضع الأوروبي:

- أن تُبنى من الداخل الأوروبي، لا كمجرد امتداد سياسي أو مذهبي لجهات خارجية.
- أن تعكس هموم المسلمين في أوروبا، لا مشكلات العالم الإسلامي الذي ينتمون إليه.
- أن تعمل وفق قوانين الدولة المدنية، وتراعي الخصوصيات الدستورية والثقافية.

ب. المرجعية العلمية الوسطية:

• أن تتبنى مناهج وسطية واضحة مستمدة من مدارس معتبرة كالأزهر الشريف، ودار الإفتاء المصرية، والمجامع الفقهية الدولية.

• أن تحترم التعدد الفقهي، وتعترف بالخلاف المذهبي، وتُحسن إدارته.

• أن تتولى صياغة فتاوى واضحة قابلة للتطبيق ذات لغة معتدلة ومتوازنة.

ج. التواصل المؤسسي مع الدولة والمجتمع:

• أن تكون لها علاقات مؤسسية شفافة مع الجهات الرسمية دون تبعية.

• أن تعمل كشريك في قضايا المواطنة، والاندماج، والتربية الدينية.

• أن تُسهم في رسم السياسات الدينية لا أن تكون مجرد جهة ردود على أسئلة.

د. الطابع الرقمي والتفاعلي:

• أن تستثمر الذكاء الاصطناعي في أرشفة الفتاوى، وتحليل الأسئلة المتكررة.

• أن تُطلق تطبيقات ذكية لتقديم الفتوى الفورية بإشراف بشري دقيق.

• أن تبني "روبوتات" تفاعلية (chatbots) تُجيب بلغات أوروبية، ضمن حدود الشرع، وبتقنيات التأكد من الهوية والمصادر.

3- نماذج مؤسسية واعدة رغم التحديات:

هناك تجارب ومبادرات مؤسسية بدأت تشقّ طريقها رغم الصعوبات:

• الهيئة الأوروبية للمراكز الإسلامية ، وهي هيئة مستقلة ذات توجه وسطي تسعى إلى تأصيل الفتوى الراشدة عبر برامج تأهيل، ومؤتمرات فكرية، ومشاركة فاعلة في المحافل الدولية.

• مجلس الفتوى التابع لمسجد باريس الكبير.

• اللجنة الشرعية في المجلس الأوروبي للهيئات و المراكز و القيادات الإسلامية الذي يُحاول خلق تنسيق بين المساجد والمؤسسات حول الفتاوى الحساسة.

لكن تبقى هذه المحاولات مشتّتة تحتاج إلى مظلة جامعة تتجاوز الإطار القطري أو العرقي أو الحركي إلى أفق أوروبي جامع يتبنى مرجعية علمية واضحة، ويعمل بمنطق المؤسسات لا الأشخاص.

4- المعوّقات والتحديات أمام التأسيس:

رغم الحاجة الماسّة إلى إنشاء مؤسسة إفتائية جامعة إلا أن هناك معوقات موضوعية تحول دون تأسيسها، منها:

- الصراعات المذهبية والسياسية داخل الجاليات، خاصة بين التيارات السلفية والإخوانية والصوفية.
- نقص الكوادر المؤهلة القادرة على إدارة مؤسسة ذات بعد فقهي وتقني وتواصلي.
- ضعف التمويل المستقل مما يجعل بعض المحاولات عرضة للتأثير الخارجي.
- غياب الإرادة الجماعية لدى القيادات الإسلامية الأوروبية، ووجود نزعة للاستقلال الذاتي بدل الانخراط في مشروع موحّد.

5- خطوات عملية مقترحة:

للانتقال من الرؤية إلى التنفيذ يمكن اقتراح خريطة طريق عملية عبر الخطوات الآتية:

1- إطلاق مؤتمر أوروبي سنوي للفتوى يجمع المؤسسات والرموز الدينية لوضع ميثاق عمل إفتائي مشترك.

2- تأسيس مركز أوروبي للفتوى الوسطية بإدارة علمية مستقلة، وشراكة مع مؤسسات مرجعية كالأزهر ودار الإفتاء المصرية.

3- تدشين منصة رقمية متعددة اللغات باسم "الفتوى الأوروبية" تكون مرجعًا معتمدًا وموحدًا.

4- تكوين شبكة مفتين شباب مدرّبين على الفقه والمواطنة والتقنية، ليكونوا نواة المشروع المستقبلي.

5- الانفتاح على الجامعات ومراكز الدراسات الأوروبية لإشراك الأكاديميين المسلمين في بناء الفتوى الرشيدة.

الخاتمة

لقد سعى هذا البحث إلى تحليل واقع الإفتاء في أوروبا في ضوء التحولات الفكرية والتقنية المتسارعة كاشفًا عن حجم الفوضى المرجعية والتأثيرات الأيديولوجية التي تُهدد صفاء الخطاب الديني، وتُشوّش على وعي الشباب المسلم، وتُفرّغ الفتوى من مضمونها الإصلاحي لتُوظّف في أحيان كثيرة لخدمة مشاريع حزبية أو أجندات عابرة للحدود.

وقد بيّن البحث أن صناعة المفتي الرشيد في أوروبا ليست ترفًا فكريًا ولا شأناً داخليًا، بل أصبحت ضرورةً استراتيجيةً لحماية الجاليات المسلمة من الانزلاق نحو التطرّف، أو العزلة، أو التبعية في زمنٍ أصبح الذكاء الاصطناعي فيه أحد أخطر أدوات التأثير والتوجيه.

كما طرح البحث رؤية تأصيلية لإنشاء مؤسسات إفتائية وسطية أوروبية مستقلة ذات مرجعية علمية رصينة، تستمدُّ روحها من منهج الأزهر الشريف، وتستجيب لحاجات الجيل الجديد بلغته وسياقه، وتُفعّل أدوات التقنية الحديثة في خدمة الفقه الراشد والوعي المقاصدي.

إننا اليوم أمام مسؤولية جماعية تتقاسمها المؤسسات الدينية، والمجالس الفقهية، والمراكز الإسلامية، بل والدول ذاتها، في سبيل بناء مرجعية إفتائية أوروبية موثوقة، معتدلة، متمكنة من أدوات العصر، ومؤهلة لتصحيح المفاهيم، وحماية العقول، وبناء جسور الثقة والتعايش.

فليس أخطر من فتوى بلا علم سوى فتوى بلا وعي...
وليس أخطر من الغلوّ الصريح سوى التسيّب المتستر بلباس التقديس...

ولتحقيق هذه الرؤية نقترح التوصيات الآتية:

1- إنشاء مؤسسات إفتائية أوروبية موحدة: تكون مستقلة ذات مرجعية علمية رصينة تعمل على توحيد الخطاب الديني المعتدل.

2- تأهيل المفتين: إعداد كوادر علمية مؤهلة تجمع بين العلم الشرعي، وفهم السياق الأوروبي، وإتقان أدوات التقنية الحديثة.

3- تفعيل التقنية: استخدام الذكاء الاصطناعي ووسائل التواصل الحديثة لنشر الفتاوى الموثوقة وتصحيح المفاهيم المغلوطة.

4- تعزيز التعاون المؤسسي: بين المؤسسات الدينية، والمجالس الفقهية، والمراكز الإسلامية، والدول، لبناء مرجعية إفتائية موثوقة.

5- توعية الشباب: تصميم برامج توعوية تستهدف الجيل الجديد بلغة معاصرة لتعزيز الوعي الديني المعتدل وبناء جسور التعايش.

نسأل الله تعالى أن يجعل هذا الجهد خالصًا لوجهه الكريم نافعًا لعباده، مُعينًا لأهل العلم على أداء رسالتهم في زمن التحديات والابتلاءات، وأن يكتب لهذا المؤتمر الكريم النجاح والقبول، وأن يُسدّد خُطى كل من سعى لخدمة هذا الدين بعلمٍ، واعتدال، وحكمة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المراجع

أولاً: المراجع العربية:

1. أمل منصور: "مشروع منصة رقمية موحدة للفتوى: دراسة جدوى مقاصدية وتقنية"، مجلة الدراسات الفقهية الرقمية، إسطنبول، 2023، ص 47.
2. إبراهيم النعيمي: الإرهاب الرقمي: تحديات أمنية ودينية، مركز دراسات الإسلام السياسي، أبو ظبي، 2020، ص 91.
3. حسن عبد الله: "فتاوى الشتات ومأزق الانتماء المؤسسي"، المركز الأوروبي للدراسات الاجتماعية، بروكسل، 2019، ص 74–76.
4. خالد أبو الفتح: "الذكاء الاصطناعي في خدمة التطرّف: قراءة في تقنيات التجنيد الرقمي"، مركز الفسطاط للبحوث الرقمية، 2021، ص 18–22.
5. خالد حنفي: "الاجتهاد الفقهي في الغرب: رؤية تأصيلية"، مجلة المسلم المعاصر، العدد 167، القاهرة، 2018، ص 45.
6. خالد حنفي: "فقه الواقع وتحديات صناعة الفتوى في أوروبا"، مجلة المسلم المعاصر، العدد 172، 2020، ص 63.
7. خالد عبد الرحمن: "فتاوى القتال والثورة: قراءة في خطابات ما بعد 2011"، مجلة الفكر الإسلامي المعاصر، بيروت، 2019، ص 102.
8. دار الإفتاء المصرية: موسوعة صناعة الفتوى في العصر الرقمي، القاهرة، 2023، ج1، ص 112–125.
9. سعد الدين الهلالي: فقه المواطنة في الإسلام، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2016، ص 204.
10. عبد الحليم خليل: فتاوى الشتات: دراسة تحليلية في المرجعيات الفقهية الأوروبية، المركز الأوروبي للدراسات الإسلامية، باريس، 2020، ص 24–27.
11. عبد الله بن بيّه: الفتوى بين الانضباط والتسيب، دار البيان، بيروت، 2011، ص 89.
12. عبد الله بن بيّه: صناعة الفتوى وفقه الأقليات، دار المنهاج، جدة، 2007، ص 37–42.
13. عبد الله كمال: "الفتوى في بلاد الأقليات: أزمة المصطلح والمنهج"، مجلة أصول الدين، جامعة الأزهر، عدد خاص (2021)، ص 119.
14. فريد العليبي: "الهوية المأزومة: الشباب المسلم في أوروبا بين الفتوى والانتماء"، المركز التونسي للدراسات الاستراتيجية، 2020، ص 34.
15. محمد عبد الله دراز: الدين: بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، دار القلم، بيروت، 1999، ص 151.

16. محمد يسري: "الفتوى وتوجيه الجماهير في سياقات الثورة"، الموسوعة الفقهية المعاصرة، المجلد 3، القاهرة، 2017، ص 241.
17. مصطفى صبري: مشكلة الإفتاء في الغرب: بين المؤسسات والفرديات، مجلة البحوث الإسلامية، 45، الأزهر الشريف، 2021، ص 95.
18. ناصر بن سليمان العمر: الفتوى الجماعية: مآلاتها وأسسها، مكتبة الفرقان، الرياض، 2005، ص 131.
19. هاني نسيرة: الإسلام السياسي في أوروبا: من الدعوة إلى الفتوى المسلحة، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2021، ص 88–91.
20. الهيئة الأوروبية للمراكز الإسلامية: "تقارير سنوية حول واقع الإفتاء في أوروبا"، جنيف، 2020–2024.
21. المركز البلجيكي لمكافحة التطرف: "تحقيق حول Sharia4Belgium"، تقرير خاص، 2020.
22. المركز الفرنسي للبحوث الإسلامية والاجتماعية: "واقع تكوين الأئمة والخطباء في فرنسا"، تقرير داخلي، 2022.
23. المجلس الفرنسي للديانة الإسلامية: "تقرير حول مستوى تكوين الأئمة وخطباء الجمعة"، باريس، 2022.
24. رابطة الأئمة في بريطانيا: "تحديات الإفتاء في السياق البريطاني"، لندن، 2022.

ثانيًا: المراجع الأجنبية:

1. Cesari, J.: Muslims in the West after 9/11: Religion, Politics and Law, Routledge, 2010, p. 146.
2. Cesari, J.: When Islam and Democracy Meet: Muslims in Europe and in the United States, Palgrave, 2004, p. 122.
3. Cesari, J.: Why the West Fears Islam: An Exploration of Muslims in Liberal Democracies, Palgrave Macmillan, 2013, p. 189.
4. Conway, M. et al.: Terrorist Use of the Internet and the Challenges of Governing Cyberspace, RUSI Journal, 2017, pp. 24–26.
5. Ingram, H. J.: Deciphering the Jihadist Narrative, Brookings Institute, 2016, pp. 38–41.

6. Karam, A. (ed.): Religious Actors and Sustainable Development: The Role of Faith-Based Institutions in the EU, Routledge, 2022, pp. 82–84.
7. Laurence, J.: The Emancipation of Europe's Muslims: The State's Role in Minority Integration, Princeton University Press, 2012, p. 208.
8. Lohlker, H.: Islamic Authority and the Rise of Salafism in Europe, Palgrave Macmillan, London, 2016, pp. 33–36.
9. Roy, O.: Jihad and Death: The Global Appeal of Islamic State, Oxford University Press, 2017, p. 64.
10. Ramadan, T.: Western Muslims and the Future of Islam, Oxford University Press, 2004, pp. 154–157.
11. Europol: Artificial Intelligence and Terrorism Propaganda in Europe, The Hague, December 2022, pp. 5–11.
12. Gallup Europe: The Religious Attitudes of Muslim Youth in Western Europe, Brussels, 2021.
13. Le Monde: "Comment le web radicalise la jeunesse française", 12 October 2019.